الفضاء المكاني في أشعار أبي معتوق الحويزي

Spatial space in the poetry of Abu Matouk Al-Huwaizi

أستاذ مشارک، د.نعيم عموري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد، د. ولي بهاروند،
طالب ماجستير، صلاح سالمي
جامعة شهيد تشمران اهواز (ايران)
كلية الإلهيات و المعارف الاسلامية، قسم اللغة العربية و آدابها
البريد الالكتروني n.amouri@scu.ac.ir

تاريخ الاستلام: 2021/04/10 - تاريخ القبول: 2021/05/20 - تاريخ النشر: 2021/06/30

Summary

Spatial space is one of the important components of literature. Indeed, literature acquires its identity through space, as places have identities, as they are affected and influenced, Ahwazi poetry has a firm footing in Arabic poetry, and this is more evident in the poetry of the Mesha'i era, as this state provided; Stability and urbanization for scholars, writers and famous people of that era, some of the results of this research was the vision that was emerging in the spatial spaces that permeate the poetry of Shihab al-Din al-Hawizi, it was the triad of homeland, state and urbanization. The spatio-temporal vision presented by the poet can also counted as the vision that prevailed during the period of the kings of that era, as he was contemporary of a flourishing phase of the history of Ahwaz in Howizeh.

الملخص

الفضاء المكاني من العناصر المهمة المشكّلة للأدب، بل يكتسب الأدب هويته من خلال المكان، إذ للأمكنة هويات، فهي تتأثر وتؤثر، الشعر الأهوازي له قدم راسخ في الشعر العربي، ويتجلى هذا أكثر في شعر العصر المشعشعي، إذ وفرت هذه الدولة؛ الاستقرار والعمران للعلماء والأدباء ومشاهير ذلك العصر، ومن نتائج هذا البحث الرؤية التي كانت تبرز في الفضاءات المكانية التي تتخلل شعر شهاب الدين الحويزي، هي ثالوث؛ الوطن، الدولة، العمران. كما يمكن عد الرؤية المكانية/المدينة التي يقدمها الشاعر بمثابة الرؤية التي سادت إبان فترة الملوك الذين عاصرهم، إذ إنه عاصر مرحلة مزدهرة من تاريخ الأهواز في الحويزة.

الكلمات المفتاحية: الفضاء المكاني، الشعر الأهوازي، شهاب الدين الحويزي.

المقدمة

المكان والفضاء المكاني من المواضيع المهمة في الأدب، إذ يشكل هذا العنصر إلى جانب عنصر الزمان أهم العناصر في الأدب، ولا يمكن تصور الأحداث خارج هذين العنصرين، لذا "شكل المكان بؤرة فنية وباعثا ملهما لكثير من الأدباء والشعراء، فهو مسرح حدوث الأفعال وفق العلاقة الجدلية بين الإنسان ومكانه، سواءً أكانت بالنفور أم بالمحبة أم بالارتباط"(جيهان،2014م، 4). فالإنسان بصورة عامة والأدب والشعر بصورة خاصة لا ينفصلان من المكان وإذا "تتبعنا أهمية المكان منذ القديم لوجدنا أن المكان قد شغل في الأدب العربي مساحة من التمظهر في كافة الأجناس والأنواع الأدبية، بدءا بالوقوف على الأطلال في العصر الجاهلي، وصولاً إلى محاكاة تلك الطللية في العصر الحديث"(جيهان،2014م، 4).

فالشاعر العربي منذ القدم يستهل شعره بذكر الأطلال، وهي من الأمكنة التي تعيد ذكريات الحب و الحنين في نفس الشاعر، لأن "الأمكنة ليست رقعا جغرافية مجردة في حدودها، ولكنها عنوانات تختزل مشاهد تاريخ الشاعر المتشكل من الغربة واختزال الهموم في داخله"(رجب، 2016م، 103). وكذلك تمثل البيت والمأوى والوطن وما يكتنفها من قدسية وأحاسيس الانتماء، فالشاعر أشد تأثرًا من غيره بمحيطه المكاني؛ سواء كان الوطن أو البيت أو حتى الغرفة أو المقعد. لم يشذ الشعر الأهوازي عن الشعر العربي في موضوع المكان، والمتابع للشعر الأهوازي يلاحظ أن للمكان أهمية لدى الشعراء الأهوازيين، ومن هؤلاء الشعراء أبو معتوق الحويزي، والذي يعد من كِبار شعراء العصر المشعشعي في الأهواز، ويزخر شعره بأنواع الأمكنة والفضاءات المكانية بصورة عميقة، وبهوية مكانية قد ينفرد فيها من الشعراء الأهوازيين الآخرين.تنوي هذه الدراسة أن تحلل الفضاء المكاني في شعر أبي معتوق الحويزي بالاعتماد على التعاريف والمفاهيم التي اهتمت بهذا الموضوع، فالمكان كان محل نظر في العديد من الفروع المعرفية إلى جانب النقد الأدبي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

وظف أبو معتوق شتى أنواع الفضاء المكاني في أشعاره وأضفى عليها دلالاته وستتناول هذه الدراسة الفضاء المكاني في شعر أبي معتوق الحويزي، في محاولة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١_ كيف وظف أبو معتوق الحويزي المكان في شعره؟

٢_ ما دلالة الأماكن وأبعادها المختلفة في شعر أبي معتوق الحويزي؟

الفرضيات:

_ الفضاء المكاني من العناصر الأساسية في الشعر وقد اهتم أبو معتوق بأنواع الفضاءات المكانية.

_ للأماكن مدلولات متعددة ترجع إلى تعدد الأبعاد سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية، أو ثقافية، أو هووية، أو طبيعية في مجتمع ما أو بيئة معينة أو في عصر من العصور، وغالبا ما كانت هذه الدلالات تقترن بالدلالة النفسية.

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- بيان المقصود بالفضاء المكاني ودلالات أنواعه.

2-بيان أهمية الفضاء المكاني الذي استخدم في شعر أبي معتوق الحويزي.

3-تحديد أنواع الفضاءات المكانية التي تحمل دلالات معينة في شعر أبي معتوق الحويزي.

خلفية البحث:

يعد كتاب جمالية المكان (1984) للفيلسوف غاستون باشلار من أهم المصادر التي تطرقت لموضوع المكان في الشعر، وقد انطلق باشلار من الكوخ/البيت لدراسة المكان، كما أنه يكرر في أكثر من موضع ضرورة دراسة المكان بكل تعقيداته الفلسفية.

كتبت زينب سواعدي رسالة لنيل درجة الماجستير عام (2020) تحت عنوان "دلالات الألوان في الشعر الأهوازي في العهد المشعشعي: أبو معتوق الحويزي، فرج الله الحويزي، عبد علي بن رحمة الحويزي".حللت منال عبد الفتاح المكان في الشعر في رسالة أعدتها لنيل شهادة الماجستير عام (2017) تحت عنوان "قداسة المكان في الشعر الجاهلي". قدمت شيماء جاسم (2011) دراسة تحليلية عنوانها "ثنائيات المكان في شعر أبي نواس" وحللت فيها الثنائيات المكانية الضدية. درس مرتضى حسين (2017) في رسالة لنيل شهادة الماجستير عنوانها "جماليات المكان في الشعر العراقي الحديث: سعدي يوسف أنموذجا" مفهوم المكان وجمالياته في الأدب، وخصوصية المكان وأبعاده في الشعر العراقي الحديث. تعد هذه الدراسة مادة ثرية في التحليل المكاني في الشعر. د. سوسن رجب (2016) كتبت دراسة؛ عنوانها "المكان وتشكيلاته في شعر السياب: دراسة نقدية تطبيقية" إذ خلصت الدراسة أن الاغتراب المكاني شكل جوهر حياة الشاعر، وهو ما أسفر عن حالة نفسية مركبة، عانى خلالها عن غربة داخلية عاشها، بين الحلم والواقع، اتكأ فيها على معطيات الحواس لتتابع المشاهد المرئية في نقل الحدث.

منهجية البحث:

اتخذت هذه الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي لدراسة الفضاء المكاني في شعر شهاب الدين الحويزي.

الإطار النظري:

مفهوم المكان

للمكان مفاهيم ودلالات وأبعاد عدة، تتجلى في حقول معرفية وعلمية عدة، إذ المكان مقترن بالوجود والكائنات، وقد احتوى وجود الكائنات وتحدث الأحداث داخل مكانيات ولا وجود لحدث خارج المكان، والإنسان في مراحل حياته يمر في عدة أمكنة؛ فحياته عبارة عن التناقل بين أمكنة متنوعة. المكان هو الإناء الذي يحتوي على الإنسان وأي حيز آخر، وتتكون هوية الإنسان عبر المكان المولود فيه.

المكان لغةً (الدال المُعجمي)

بداية نستشف مفهوم المكان من المنظر اللغوي للاطلاع على ما ينير طريقنا إلى معانيه الاصطلاحية في هذا البحث. يذكر ابن منظور في هذا المقام أن:

"_قال ابن سيده: المكان، الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن هي جمع الجمع.

_قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالا، لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مكانك فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه.

_الفرّاء: لي في قلبه مكانة وموقعة ومحلّة.

_أبو زيد: فلا مكين عند فلان بين المكانة، يعني المنزلة.

_أبو منظور: المكان والمكانة واحد..." (ابن منظور، 2003م، ط1،ص510).

والمكان من المنظار اللغوي يدل على ذاته، أي إنه:" اسم مشتق يدل على ذاته، أي ينطوي معناه على إشارة دلالية ممتلئة، تحيل إلى شيء محجم مماثل، ومحدد له أبعاد ومواصفات، ولفظة المكان مصدر لفعل الكينونة، والكينونة هي الخلق الموجود والماثل للعيان الذي يمكن تحسسه وتلمسه".(فوغالي،2008م،ط1،ص169).

المكان في المعاجم حسب ما يلي:

1.مختار الصحاح للرازي: (المكانة_المنزلة_وفلان "مكين" عند فلان أي_بين المكانة) والمكان والمكانة الموضع.(الرازي، 1987م، ط2،ص370)

2.المعجم الوسيط: (المكان: الموضع و_المنزلة. يقال: هو رفيع المكان. (ج) أمكنة والمكانة: المكان بمعنييه السابقين. وفي التنزيل العزيز: "ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم": أي موضعهم.(مجمع اللغة العربية، 1985م، ط3، ص838)

3.المنجد في اللغة والأعلام: (المكان_ج: أماكن وأمكنة (موضع كون الشيء)، المكانة): الموضع والمنزلة.(شيخو، 1994م، ط34، ص704)كما يتضح أن مفهوم المكان اللغوي، مرَّ بسيرورة دلالية وازداد ثراء دلاليًا في العصر الحديث، لكن بصورة عامة كان المكان من المفاهيم التي ارتبط بالمنزلة والحيز والموقع.

المكان في القرآن

لا شك أن القرآن ترك تأثيره الكبير في الأدب والثقافة العربيين، وكان حتى وقت قصير يتأدب الأدباء وتقوَّم لغتهم من خلال قراءته. و يسعى العديد من الباحثين استنكاه المفاهيم من خلال الآيات القرآنية و في مايتعلق بلفظة المكان "وردت هذه اللفظة في ثمانية وعشرين موضعًا، تحمل معاني متنوعة"(شلاش، 2011م، ع2،ص242). وقد قسَّم الباحث معاني لفظة المكان التي وردت في القرآن لأنها لم ترد في معنى واحد.

1.منها ما يدور حول معنى (الموضع) أو (المحل)، كقوله تعالى: واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. أي موضعا أو محلًا شرقيا عن أهلها أو عن بيت المقدس"(شلاش، 2011م، ع2،ص242).

2.ومنها ما جاء بمعنى (بدل)، مثل قوله تعالي: قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (). و(مكانه) هنا تعني: بدلاً منه"(شلاش، 2011م، ع2،ص242).

3.بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى (المنزلة)، كما في قوله تعالى: قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (مريم: 75). وشرٌ مكانا: أي منزلة"(شلاش، 2011م، ع2،ص242).كما يتضح من هذا التقسيم أن لفظة (المكان) تعني (الموضع) و(المنزلة) و(البدل) في القرآن، كما أن المعنى الأول –أي الموضع– أقرب للمفهوم المعاصر الذي يوَّظف في النقد الأدبي والدراسات.

المكان في الأدب

دراسة المكان في الأدب ارتبط بالرواية أكثر من الشعر وتوسّع بواسطتها؛ إذ إنه المكان الذي يجمع الحدث في إطار معين، كما أنه يضيف للأدب صبغة الأصل وكذلك يساهم في توكيد أواصر صلة العمل الأدبي بالمجتمع، "وقد أدرك الشعراء ما للمكان من أهمية وحضور مشرق على مساحة النص الأدبي لذلك شكلت الأمكنة دور فاعل في أشعارهم فتوجهوا إليها سائلين ومستفهمين منها (...) فللمكان وقع في نفس الشاعر يفوق وقع الزمن كونه يبقى شامخًا وشاخصًا وملموسًا وكونه يمثل للشاعر كل الذكريات"(خماس، 2017م، م24،ص258). فما من مدارس النقد الحديث إلا واكتشفت أهمية المكان في العمل الأدبي، "يرى باديس فوغالي بأن المكان في الأدب ليس مجالًا هندسيًا تضبط حدوده أبعاد وقياسات خاضعة لحسابات دقيقة، كما هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات المواصفات الطبوغرافية. إنما يتشكل في التجربة الإبداعية انطلاقًا واستجابة لما عاشه الأديب، إن على مستوى اللحظة الآنية ماثلًا بتفاصيله ومعالمه، أو على مستوى التخيل وافدا بملامحه وظلاله"(الزهرة بركات، 2015م، ص8)."إن المكان يمثل محورًا أساسيًا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب، غير أن المكان في الآونة الأخيرة لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها الأحداث الدرامية، كما لا يعتبر معادلًا للشخصية الروائية فقط، ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني. وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدًا جماليًا من أبعاد النص الأدبي. كما يمثل الزمان والمكان الإحداثيات الأساسية التي تحدد

الأشياء الفيزيقية. فنستطيع أن نميز فيما بين الأشياء من خلال وضعها في المكان، كما نستطيع أن نحدد الحوادث من خلال وقوعها في الزمان."(طاهر، 1998م، ط2، ص59).

ماهية المكان في الفكر الغربي

حاز المكان عند الفلاسفة اليونانيين على نقاش جدلي عميق، ذهب بعضهم إلى أن "المكان من جهة أخرى مادة كما ذهب أفلاطون عندما وحد بين المكان وبين المادة اللامحدودة اللامصورة (القابل) ذلك لأن المكان يحد ما يحويه فهو شيء مجرد وليس جسمًا ماديًا. (...) وينتهي رأي أرسطو في المكان إلى أنه أشبه بوعاء يحوي ملاء معينًا. وتعريفه أنه الحد الباطن للحاوي الملامس مباشرة المحوي على ألا يكون متصلًا بالمحوى وفي تعريف الفلاسفة المسلمين أنه السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي"(مطر، 1998م، ص290).لكن "يذهب يوري لوتمان إلى تعريفه على أنه: مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال والصور والدلالات المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة. العلاقات التي يعنيها هذا التعريف هي الطبقات المكانية أو الثنائيات الضدية كألفاظ القريب، البعيد، فوق، تحت، يمين، يسار"(رحيل، 2012م، ص14).منظرو الألمان ميزوا بين "مكانين متعارضين هما Raumو local. أما الأول فقد عنوا به المكان المحدد الذي تضبطه الإشارات الاختبارية كالمقاسات والأعداد...الخ، وأما الثاني فهو الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث ومشاعر الشخصيات في الرواية"(بحراوي، 1990م، ط1، ص26).

ماهية المكان في الفكر العربي

رأي ابن سينا أن " يفرق بين مفهومين للمكان هما: المفهوم الأول المكان الحقيقي، أما المفهوم الثاني فهو المكان غير الحقيقي. إن المكان الحقيقي _حسب ما يرى_ هو السطح المساوي لسطح المتمكن، وهو نهاية الحاوي المماسة لنهاية المحوي، في حين يرى أن المكان غير الحقيقي هو الجسم المحيط. أما أبو الحسن على الآمدي، فيقترح بدل المكان مصطلح الحيز، ويفرق بينه وبين مصطلح الخلاء، إذ يرى أن الحيز عبارة عن المكان، أو تقدير المكان. وأما الخلاء _حسب رأيه_ فعبارة عن بعد قائم لا في المادة من شأنه أن يملأه"(فوغالي، 2008م، ط1، ص172). رؤية ابن سينا وتقسيمه للمكان يشوبهما بعض الغموض، إذ إنه يفرق بين مكانين، كل منهما مكان بحد ذاته، وهو كذلك يسمي الاثنين مكانًا، فكيف يكون مكانًا وغير حقيقي بالوقت ذاته. لكن رؤية الآمدي تناقش الحيز (المكان) مقابل الخلاء أو الفراغ، وهذا أقرب إلى الرؤى الفيزيائية. لكن مصطلح المكان نوقش لغويًا في المعاجم اللغوية في الفكر العربي.

المكان في الشعر العربي

أخذ المكان حيزًا واسعًا في الشعر العربي منذ نشأته، بدءًا من الأطلال في عصر ما قبل الإسلام إلى يومنا هذا، فالمكان عند الشاعر العربي ليس مجرد كلمات، بل الإناء الذي حوى وجوده وكينونته ليعبر عنه وعن رؤيته للطبيعة

من خلال الشعر، كذلك هواجسه تجاه المكان، والمخاطر التي تواجهه، والنظرة الودية إلى المكان وإلخ. "وهذه سمة نلمس أثرها لدى الشاعر العربي بشكل كبير، فجاءت من هنا أهمية المكان لكونه حقيقة معاشة، يؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه. وفي شعرنا العربي نجد هذا الارتباط بالمكان منذ عصر ما قبل الإسلام، فكان الوقوف على الأطلال سمة بارزة لدى الشاعر الجاهلي وعنصرا لا غنى عنه، بل هو جزء من كيان عضوي كلي يخضع لمطلقات القصيدة الكلية ولبنيتها. وجاءت أهمية المكان في هذا الشعر من هذه الظاهرة، إذ أصبحت مستهلًا وباعثًا من بواعث أصالة القصيدة العربية، بل وبنية من أبنيتها التي عُدت أساسا لتركيب القصيدة العربية للعصور التي تلت هذا العصر" (صالح السبهاني، 2007م، ط1، ص20).كذلك في تقسيم ابن سلام لشعراء عصر ما قبل الإسلام نجد المكانية تتصدر أشعار هؤلاء بكثرة؛ "وذلك لأن ابن سلام عندما وزع الشعراء بين الجاهلية والإسلام وقسم هؤلاء إلى طبقات، نظر فوجد أن هناك شعراء لم يصبحوا شعراء للعرب كافة، بل ظلوا متصلين كل بقريته وهم ما يمكن أن نسميهم (بالشعراء الإقليميين)، فجمعهم في باب شعراء القرى: مكة ومدينة والطائف واليمامة والبحرين، هذه الظاهرة من مخلفات الروح الجاهلية، روح الإقليم والقبيلة (...) ومع هذا فابن سلام يفاضل بين شعراء كل قرية فيجعل من حسان أشعر المدنيين ومن عبدالله بن الزعبري أبرع المكيين" (المندور، 1996م، ص13).

غير أن قصائد الأطلال لعبت دورًا بارزًا في تغنية المكانية في الشعر العربي القديم، بعيدًا عن النظرة السلبية تجاه الشعر المكاني، فبواسطة هؤلاء درس النقاد وعلماء الاجتماع البيئة التي تربت بها العرب بتجلياتها ومخاطرها، إضافة على تمحيص عقلية المجتمع والناس في تلك الحقبة ورؤيتهم تجاه المكان وما يشابه ذلك؛ "هذا وقد أنتجتْ مخيلة الشعراء القدماء، صورًا عن المكان يندر أن تجد لها مثيلًا في الآداب العالمية، ولذلك استجاد المستشرقون المقطع الطللي في شعرنا القديم وحرصوا على ترجمته إلى لغاتهم لما فيه من إشارات تفصح عن الطبيعة العقلية والروحية للعرب في ذلك الوقت. والمقطع الطللي تزدحم فيه العواطف والذكريات ويحضر فيه الشخوص والأحداث كما لو أنها تتحرك أمام ناظري الشاعر" (توفيق أبو كشك، 2020م، ص5).

و"الحنين إلى الطلل كما يقول الدكتور القيسي يمثل الحنين إلى الوطن لأن الطلل وما يحيط به من الدمن يمثل مجموعة من الذكريات التي عاشت في ذهن الشاعر فحفظ لها أجمل الأوقات وهو في هذه اللوحة يبرز ذاتيته محاولًا إثبات وجوده المبعثر" (موسى الجاسم، 1997م، ص148).

إن المكان وهو عنصر من أهم عناصر العمل أدبي، أصبح أكثر عمقًا مع تقدم الزمن وعند شعراء العصر الحديث ذلك أن مفهوم الأطلال راح يتقلص شيئًا فشيئًا ليقدم حيزه لمفاهيم أعمق من ذلك كالوطن والنفي والنبذ عنه. فالشاعر ابن بيئته وعندما تتعرض البيئة لمخاطر قوى خارجية سيميط المكان اللثام عن نفسه في أشعار الشعراء الذين مرّوا أو يمرّون بتجربة تسيء إلى مكانيتهم التي تحاط بدائرة وجودهم. "وعندما نتحدث عن المكان في النص الشعري فإننا نشير إلى مؤشر في النص؛ لأنه مرآة ينعكس على سطحها البعد النفسي والبعد الاجتماعي للمكان، إذ إننا نعرف أن الحديث عن المكان لا يقتصر على المكان الحقيقي أي المكان الجغرافي الذي تدور فيه الأحداث وموضوع الدراسات الفيزيائية وله أطر ويظهر من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة بصرية وحياد، بل يظل

المكان حالتين: حالة جغرافية وذلك ما لم يعن به كثيرًا والحالة الأخرى نفسية بمعنى أن النص يرتبط بالمكان طلبًا للانسجام بين المكان والوظيفة الفنية وبينهما وبين الوظيفة الإيصالية."(شيرزاده، 2012م،ع9، ص5).إذن شاعر هذا العصر أكثر عمقًا حول المكانية، وأكثر واقعية، وأغلبه خرج عن حالة العتاب مع البيئة أو عنها كما فعل الشاعر الطللي، بل هنا نحن إزاء المكان الذي يلعب دورًا في تجذير الهوية والشعور الوطني وكذلك التبس المكان مكانية فعّالة تحث على التغيير بدل القصائد الطللية التي حكرت نفسها بالعاطفية المفعولة ولا حول لها أمام قوى الطبيعة؛ فالمخاطر مخاطر وإن كانت تضغط على البشر عبر القوى الطبيعية أم السلطوية وهكذا دواليك.

أبو معتوق الحويزي

شهاب الدين بن أحمد بن ناصر المشعشعي، علم من أعلام شعراء القرن الحادي عشر الهجري، ولد في الحويزة ونسب إليها بناء على موطنه، و"تختلف المصادر التي بين أيدينا في اسم الشاعر وكنيته وسلسلة نسبه، إلا أنها تتفق باتصاله النسبي بالأسرة المشعشعية التي أسست الدولة العربية التي حملت إسمهم لأكثر من خمسة قرون. يشير آغا بزرك الطهراني عن تأريخ وفاته في السطور الآتية "كما قال عنه صاحب كتاب الذريعة_آغا بزرك الطهراني: (ابن معتوق) وهو السيد شهاب الدين أحمد بن ناصر بن معتوق الموسوي الحويزي المتوفى (الأحد 14 شوال 1087) عن اثنتين وستين سنة. جمع الديوان ولد الناظم معتوق بن شهاب الدين بعد وفات والده ورتبه على ثلاثة فصول: المدايح، والمراثي، والمتفرقات."(سواعدي مورزادة، 2020م، ص 22)."يظهر مما ذكره ابن الشاعر أن أبا معتوق كان له من العمر سنة (1087هـ/1676م) _وهي سنة وفاته_ (62) سنة، وعليه تكون ولادته في سنة (1025هـ/1616م)، وقد ولد وترعرع وتعلم في مدينة الحويزة حاضرة الدولة المشعشعية. وبدأ منذ باكورة صباه بقرض الشعر وإنشاده، حيث ترد له في الديوان قصيدة جزلة في مدح الإمام علي سنة (1052هـ/1642م)، وأي أن عمره يومئذ لم يتجاوز (27) عامًا، بينما جزالة تلك القصيدة وتراكيبها اللطيفة تشير بأنه كان قبل هذا التاريخ ينشد الشعر ويقرضه." (سواعدي مورزادة، 2020م، ص 19).لكن الشاعر لم يجمع ديوانه مكتوبًا إلى أن آل إليه الحال مصابًا بداء الفالج إذ شل نصف جسمه، و"طبع ديوانه الذي عرف بديوان (ابن ابي معتوق) ولثقله على اللسان ولعدم اللبس مع عنوانات أخرى حدث تصحيف وتحريف باسم (ابن معتوق)، ولعل إصابة الشاعر بالفالج لمدة طويلة هي التي حالت بينه وبين جمع ديوانه إذ أنهكه المرض وأتى عليه، إلا أنه بقي محتفظًا بحافظة جيدة، ولعل إملاءه لولده من حفظه دليل ذلك أن المنية قد وافته قبل أن يتم جمع ديوانه، لذلك تولى المهمة ولده عنه وهو واحد بين آخرين له لا نعرف عنهم شيئًا إلا أن الأكبر بينهم هو من قام بجمع الديوان."(عبد الكريم، 2015م،ع20، ص 43). يذكر ابنه في الديوان الذي قام بجمعه إلى "أنه اجتمع في صباه مع بعض الأدباء وهو جالس ليلًا على باب داره بالبصرة."(الموسوي، 1278هـ، ص225). هذا يدل على أن الشاعر غادر بلاده في صباه إلى البصرة ليكمل مسيرته الأدبية والشعرية هناك.

قال السيد عبدالله الجزائري في تذييله لكتاب سلافة العصر في مدح الشاعر أبي معتوق الحويزي: "شهاب الشرف الثاقب، ودري فلك المناقب، نسب أسنى من شمس الرابعة، وحسب أحيا مراتع الأدب ومرابعه، والمدون من شعره

يناهز عشرة آلاف بيت، يكاد يحيا به الميت، ويعنو لها الفرزدق والكميت، فمن محاسنها قوله في مطلع قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله وقد أنشدها حياله:

هذا العقيق وتلك شم رعانه فامزج لجين الدمع من عقيانه"(الجزائري، 1419هـ،ص22)

ويصفه عبد الرحمن اللامي:"شهاب فضل تلالأت في سماء الأدب أنواره فسما فخرًا بارتفاع مكانه على أقرانه، وروض نبل صدحت بما يطرب السمع أطياره من بديع النظم بفنون الألحان على أفنانه."(اللامي، 2011م، ص 315).

الفضاء المكاني في شعر أبي معتوق الحويزي

يشكل الفضاء المكاني جانبًا كبيرًا من شعر شهاب الدين أبي معتوق الحويزي، فيرى الباحث الأهوازي سعيد إسماعيل أن سبب هذا يعود "إلى ارتباطه المباشر بالدولة المشعشعية وأسباب الحضارة التي توفرت له حينذاك، فتلقاها بوعي حضاري متكامل قلَّ نظيره بين الشعراء العرب عامة والشعراء الأهوازيين خاصة" (إسماعيل،2021م،ع6، ص67). نظرا لهذه الرؤية إن المد الحضاري يلعب دورًا بارزًا في تكوين شخصية الشاعر.

الأرض في شعر أبي معتوق الحويزي

اهتم أبو معتوق الحويزي بالأرض بمعناها المجرد تارةً وأحيانا ربطها بالدولة المشعشعية أو بالحويزة، فالأرض بالمعنى المجرد هي التي تحوي الفضاء المكاني الذي يستوعب كل الفضاءات المكانية الأخرى التي تقع في دائرتها.في البيت أدناه، يتحدث الشاعر عن أرضٍ معينة، واضحة الحدود، وهي التي بين الكرختين، أي الحويزة وما يتصل بها من مركز الدولة المشعشعية، إذ يقول:

جوادٌ بأرضِ الكَرخَتَيْنِ مُقامُه ومعروفُه يَسري إلى كلِّ طالبِ(عبد الله، 2018م، ص 371)

هنا يقترن الجود بالمقام العالي، كما أنها إشارة ضمنية إلى ملك من ملوك المشعشعيين، لأن الفضاء المكاني الذي يحدده بدقة، يشير إلى ذلك، وهذا نوعًا ما ربط المكان أو المدينة بالممدوح من جهة، وربطهما بالجود من جهة أخرى. لكنه في البيت أدناه، يلفت الانتباه إلى موضوع آخر، لكن في الفضاء المكاني ذاته، إذ يقول:

أو أنّ نَسرَ الدُجى بَيضاتُهُ للأرضِ فاستحضَنَتها في خُدورِهِمِ(عبد الله، 2018م، ص 166) سقطَتْ

ديدن الشاعر؛ السلالة المشعشعية، يرى أنه عندما سقطت بيضات النسر للأرض؛ فالسقوط كان في حرم هذه السلالة، فالأرض هنا مرة أخرى هي الحويزة، عاصمة الدولة المشعشعية. لكن الشاعر في بيت آخر من قصيدة يخصها بمدح النبي الأكرم، يذكر ثنائية السموات والأرض، فينتصر للأرض، إذ يقول:

على السّمواتِ فيهِ الأرضُ قد فخَرَتْ والعُرْبُ قد شَرُفَتْ فيهِ على العَجَمِ(عبد الله، 2018م، ص 166)

هنا، تتفاخر الأرض بما تحمله على متنها شخصية خاتم الرسل، كما أن العرب شرفت بالرسالة على الأمم، هذا التفاخر ليس تفاخرًا عرقيًا، بل أنه يختص بالجانب الديني والرسالي، ويتضح أنه تناصّ معنوي من الآية الكريمة {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاس} (سورة آل عمران، آية 110). لكن في بيت آخر يشير إلى الأرض بالمعنى المجرد، إذ يقول:

ورأيتَ البُدورَ تشرقُ في الأر ضِ بهالاتِ عسجَدِ الأطواقِ(عبد الله، 2018م، ص 171)

يرسم لنا شهاب الدين الحويزي لوحة جميلة من الفضاء المكاني/الأرض وشروق البدور التي ترسل هالاتها الذهبية. هنا، الأرض تتحول إلى أرضية تعكس جمال الشروق. الأرض قد تتقلص مقابل الممدوح وقوته، تتحول إلى النقير، النقطة الصغيرة التي في نواة التمر. هذه العملية من الممكن تسميتها تقلّص الفضاء المكاني العام حد العدم، إذ يقول الشاعر:

ملكٌ كلّما سرى لطِلابٍ يحسَبُ الأرضَ كلّها كالنقيرِ(عبد الله، 2018م، ص 178)

الملك إذا ما سرى لمعركةٍ ما، يحسب الأرض صغيرة مثل نقير نواة التمر، فالفضاء المكاني يتقلص لصالح الممدوح للتعبير عن قوة الملك وعظمة جيشه الذي يسير معه إلى المعركة.

إن لم تكُن بالحظِّ تعرفُ أرضَهُ فلقد زَهَتْ أكنافُها بنباتِهِ(عبد الله، 2018م، ص 253)

في البيت أعلاه حوّل الشاعر، الأرض إلى عنوان يُعرف منه الممدوح، هنا، الأرض التي تزهو بالنبات هي العنوان لمعرفة الممدوح، المعرفة التي تتطلب الحظ الحسن.

غيثٌ إذا ما النّبْتُ صوّحَ والكَلا أولى ووجهُ الأرضِ لا يتدجّجُ(عبد الله، 2018م، ص 277)

يتحول الممدوح إلى غيثٍ لأرض يبس نباتها. يمكن ملاحظة أن شهاب الدين لديه هاجس أن تكون الأرض مزدهرة، ربما هذا الهاجس نشأ لسبب أنه مقربٌ من رجال الدولة المشعشعية وأعمال العمران التي يهتمون بها. لذا يصور الفضاء المكاني العام بثنائية الازدهار/السباخ. كما يبرز ثنائية الدولة واللادولة، بمعنى أن الأرض التي تكون تحت مظلة الممدوح مزدهرة والأرض التي لا تكون تحت مظلته فستكون سباخ.

خُلَفاءُ مجدٍ من بَنيكَ كأنّهم للأرضِ قد هبَطوا من الرُّضوانِ(عبد الله، 2018م، ص 289)

يحول الشاعر خلفاء الممدوح إلى ثوابت للأرض وازدهارها. الجدير بالذكر أن الشاعر يدور حول عمران الأرض وازدهارها، أي لا يمدح لأجل ارضاء الممدوح بقدر ما يحاول أن يلفت النظر حول العمران والازدهار.

الوطن في شعر أبي معتوق الحويزي

الاهتمام الذي أولاه أبو معتوق، للحويزة/الوطن/بلاد الحوز، لم يتكرر لفضاءٍ مكاني آخر، فمن السهل بمكان أن يعرف المتلقي هيام الشاعر بعاصمة الدولة المشعشعية، وحبه العميق لها، بل أصبحت الأصل التي يطوف شعره حولها.

بداية يتم تحليل الأبيات التي تتضمن ذكر الوطن والأوطان والحنين إليها، والاغتراب الذي يفصل الإنسان عن وطنه. إذ يقول:

صلّى عليكَ الله يا مَوْلى الوَرى ما حنّ مُغتَرِبٌ إلى أوطانهِ(عبد الله، 2018م، ص 163)

هنا، الشاعر يوظف أبدية من الأوابد، فعبارة "ما حن مغترب إلى أوطانه" تشير إلى أهمية المكان/الوطن في مخيال الشاعر، فهو يجعل الأبدية في ذكر لوعة المغترب عن الوطن. له في الأوطان بيت آخر يتحدث عن هجر الأوطان، إذ يقول:

إليكَ قد بعثَتهُ رغبةٌ غلبَتْ لم يهجُرِ الأهلَ والأوطانَ لولاها(عبد الله، 2018م، ص 347)

هنا، يشير الشاعر إلى الشوق المنبعث من هجر المكان/الوطن، لكنه أضاف إلى لوعة هجر الوطن؛ لوعة هجر الأهل، إذ لا يمكن فصلهما، لأن كل منهما يرمز إلى الآخر، فلا يمكن أن يتصور الإنسان الوطن من دون الأحبة والأهل.

يقترب شهاب الدين الحويزي أكثر إلى المكان/الوطن الذي يدور في خلده، إذ يقول:

بلدٌ إذا شاهَدْتَهُ أيْقَنتَ أن الله ثمّن فيهِ سبعَ جِنانهِ(عبد الله، 2018م، ص 160)

يرى شهاب الدين في وطنه/البلد ما يوازي الجنات السبعة، فهو يوعد المشاهِد أنه سيوقن أن الله جعل في هذا البلد ما جعل في الجنات السبعة. هذا الهيام لم يسبق له في شعر العصر المشعشعي ولا في الشعر الأهوازي بصورة عامة. يضيف في الأبيات أدناه حبه للوطن، إذ يقول:

وإلى مَ نَدبي للديارِ كأنّه فرضٌ عليّ أخافُ فَوْتَ أدائِهِ(عبد الله، 2018م، ص 223)

يندب الشاعر الديار ويتسائل السبب، فهو يشبّه هذا الندب والهيام بالديار، بالفرض الديني الذي يخاف فوت أدائه، أي يشبّه ندب الديار بالصلاة. لكن الأمل يبدد الأفكار السلبية التي تحيط بالديار، إذ يقول:

في البيت أدناه يشير إلى الممدوح/الملك وحصوله على السلطة في بلاد الحوز، إذ يقول:

تملّك الحَوْزَ فلْتَهرُب ثَعالبُهُ فقد تكفّلَ جيشَ المُلكِ قسْوَرُهُ(عبد الله، 2018م، ص 196)

هنا، الحوز يتملكها الملك، فالمكان في حيازة الملك. لكن هذه مبالغة لإخافة المتنافسين في الداخل، فهذا يمكن أن يُلاحظ في العبارة "فلتهرب ثعالبه"، فهذا إنذار لهم أنه لا مجال للفوضى أو الصراع. لكنه في بيت آخر يغير خطابه الشعري عندما يوجهه للمواطن العادي، إذ يقول:

تولّى بلادَ الحَوْزِ فلْيَخْلُ بالُها وتفْرَغَ من بعدِ الهُمومِ الشّواغِلِ(عبد الله، 2018م، ص 216)

في هذا البيت يشير أن الممدوح "تولّى" بلاد الحوز ولم يقل "تملك" فهنا المكان/الوطن يتغير وضعه القانوني والسياسي، مع تغير المتلقي، وهذه دقة بالغة من الشاعر شهاب الدين الحويزي، كما أشار الباحث سعيد إسماعيل إلى هذا في تحليله لهذا البيت والبيت الذي يسبقه، فيقول: "يدخل الخطاب الشعري في منحى آخر في البيت أعلاه، فهو يستخدم منطق القوة في سبيل تخويف المنافس الداخلي، أو من يثير البلبلة، هذا لأن الممدوح تولى رأس الجيش في بلاد الحوز. لكن تولي الجيش ليست رسالة إنذار للجميع في البلاد، بل تحمل رسالة دِعة واطمئنان بالنسبة للمواطنين، كما أن في البيت الذي ينذر فيه –على حد قوله– "الثعالب" ذكر عملية التولي بالتَمَلُّك، بينما استخدم في البيت الذي يزف البشرى للمواطنين مفردة "تولّى" وهذه الدقة في وصف –العملية الواحدة– بطريقتين ينم عن ذكاء في توظيف الخطاب الشعري"(إسماعيل،2021م،ع6، ص67).

يربط الشاعر المكان/الحويزة بورود الممدوح للحويزة والازدهار، يتكرر هذا التعبير، في شعر شهاب الدين، إذ يقول:

لولا وُرودُك للحويزةِ ما زَهَتْ وَجناتُ جنّاتٍ لها بورودِ(عبد الله، 2018م، ص 268)

ثم يشير إلى الوطن بالمكان الحزين، لأنه فقد الملك، فيقول:

ما الحوز منذُ رحلْتَ إلّا مُهجةٌ بكَ تُيِّمَتْ فخُفوقُها لن يَسْكُنا(عبد الله، 2018م، ص 235)

هنا يشبه المكان/الوطن بالمهجة المتيمة بالممدوح/الملك، فربط الوطن بالملك هو تداول حضاري ومدني، فالمدح التقليدي يرى الملك فقط دون مسؤوليات أو دون ذكر الأسباب التي تبرر مدحه، لكن شهاب الدين الحويزي، يبرر هذا المدح، التبرير هو "بلاد الحوز" التي تدور مفاهيم شعره حولها.

الأماكن الدينية في شعر أبي معتوق الحويزي

اهتم شهاب الدين بالأماكن الدينية بعد اهتمامه بالحويزة التي كانت عماد شعره، لأنه رجل سياسة ودولة بالدرجة الأولى. اهتم الشاعر بأماكن دينية محددة، بالكاد تتلخص بالجزيرة العربية، أي مكة والمدينة، أو بدقة أكبر، الأماكن التي تختص بموسم الحج.

في البيت أدناه يصور الشاعر فضاءات مكانية تختص بموسم الحج، إذ يقول:

وسَلِ المَشاعرَ والحَطيمَ وزَمزَما عن فخرِ هاشمِهِ وعن عِمرانهِ(عبد الله، 2018م، ص 162)

يوظف الشاعر فضاءين من الفضاءات المكانية المختصة بالمشاعر أو المناسك، فالحطيم أو الحِجْر أو حجر إسماعيل، من مناسك الحج، قال الأزرقي في هذا الموضع: "فسمي هذا الموضع الحطيم لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان، ويستجاب فيه الدعاء على الظالم للمظلوم، فقَلَّ من دعا هنالك على ظالم إلا هلك، وقلَّ من حلف هنالك إثما إلا عجلت له العقوبة، فكان ذلك يحجز بين الناس عن الظلم، ويتهيب الناس الأيمان هنالك، فلم يزل ذلك كذلك حتى جاء الله بالإسلام، فأخر الله تعالى ذلك لما أراد إلى يوم القيامة" (الأزرقي، 2003م ،ص 523). كما أن بئر زمزم معروف في الأدب العربي، فهو فضاء مكاني يرمز إلى الطهارة والنقاء.

سُرَّتْ بمَولدِهِ أمُّ القُرى فنَشا في حِجْرِها وهْوَ طِفلٌ بالغ الحلُمِ(عبد الله، 2018م، ص 167)

في البيت أعلاه يشير الشاعر إلى فضاءٍ مكاني ديني آخر، أم القرى، فهذا الموضع قطب الإسلام والمسلمين. أم القرى هي مكة. يشير الشاعر إلى سرور أم القرى بمولد الممدوح.

في البيت أدناه يوظف شهاب الدين الحويزي الفضاء المكاني الديني ليضفي على سلالة الممدوح هالة دينية، إذ يقول:

همُ وإيّاهُ ساداتي ومُستَندي أقوى وكعبةُ إسلامي ومُستَلَمي(عبد الله، 2018م، ص 169)

هذا الإضفاء الديني للممدوح جرى كثيرًا في شعر شهاب الدين، فيشبه، هنا، الممدوح وسلالته بكعبة إسلامه هو، أي يتحدث عن معتقده الشخصي دون أن يفرضه على آخرين، فهو لم يقل بأنهم كعبة الإسلام، بل كعبة إسلامه هو.

في البيت أدناه يصل الممدوح لدرجة أن يحل محل المكان الديني الأهم/الكعبة، يطوف حولها الوفود، وهذه مبالغة في المدح.

لا زِلْتَ للإسلامِ أشرفَ كعبةٍ لم تَخْلُ يوما من طَوافِ وُفودِ(عبد الله، 2018م، ص

(268

في البيت أدناه يصف الشاعر حج الممدوح لبيت الله الحرام، وهو فضاء مكاني ديني، إذ يقول:

وليهنِنا حجُّ بيتٍ منك دار على شعائر البرِّ والمعروفُ مَشْعَرُهُ(عبد الله، 2018م، ص 198)

يكرر في البيت أدناه الفضاء المكاني ذاته، أي أم القرى أو مكة، إذ يقول:

أُمّوا بنا أُمَّ القُرى فلعلّنا ندنو إلى لَيلى الغَداةَ ونقرُبُ(عبد الله، 2018م، ص 225)

يمزج الشاعر بين التوجه إلى أم القرى بصفتها المكان الديني والوصول إلى منيته، وهي ليلى، لكنه عندما يشير إلى أم القرى فهو يشير إلى مدينة مكة بأسرها وليس المواضع الدينية بالذات.

في البيت أدناه يذكر فضاءين مكانيين؛ الحجاز والصفا، فالحجاز الفضاء الأوسع، بينما الصفا هو المكان الديني الذي يرتبط بشعائر الحج. يظهر الشاعر شوقه للصفا/المكان الديني من خلال طلبه في تغيير الاتجاه إليه.

يا صاحِ إن جِئتَ الحجازَ فمِلْ بِنا نحو الصّفا فهَوايَ أجمعُهُ هُنا(عبد الله، 2018م، ص 233)

يا صاحِ إن شارَفْتَ مكّةَ سالِما فاعدِل يَمينَ منىً فثَمَّ مُنائي (عبد الله، 2018م، ص 332)

البيت أعلاه فيه جمال مكاني رائع، إذ إن الشاعر يخاطب شخصٍ ما، عن فضاء مكاني محدد في مخياله، فيرسم ما يشبه الخارطة للمخاطب ليصل إلى المكان المحبب لديه، مكة ثم يتخذ يمين موضع منى.في البيت أدناه يغير الشاعر الاتجاه من مدح ملوك الحويزة إلى موضوع يختص به، ويربط بين الحبيبة والمكان، إذ يقول:

نقلْتُم نحو مكّتِكم فؤادي وبين الكرْخَتَيْنِ تركتُموني(عبد الله، 2018م، ص 246)

هنا الشاعر يتحدث عن فضاءين مكانيين، أحدهما الوطن ومسقط رأسه/بين الكرختين والمكان الثاني/مكة/ مكان الحبيبة. يبدو أن فؤاد الشاعر في مكة بينما هو يعيش بين الكرختين.

المدن والبلدان في شعر أبي معتوق الحويزي

لا يخفى أن شعر شهاب الدين الحويزي يدور حول الحويزة وبلاد الحوز، لكنه إلى جانب ذلك تجلت بعض المدن والبلدان في شعره. أغلب الفضاءات المكانية التي ذكرها في شعره، لم يذكرها بسوء، بل كان يحترم الأماكن والبلدان، حتى المدن التي كانت الدولة المشعشعية في صراع مستمر معها.في البيت أدناه، يذكر الشاعر فضاءين مكانيين؛ هما الحجاز والعراق، فيقول:

وتَراءى لكَ الحِجازُ ولاحتْ بينَ حُمرِ القِبابِ شُهْبُ العِراقِ(عبد الله، 2018م، ص 217)

يصور لنا الشاعر فضاءين مكانيين مهمين في المخيال الأدبي العربي، كما في الثقافة العربية، يقدم شهاب الدين الحويزي، مقاربة مكانية بين جغرافيتين، كما أن فعل الرؤية بالنسبة للحجاز يظهر قرب هذا الفضاء المكاني، وفي الوقت نفسه تلوح للناظر شهب العراق.

وقلبٌ إلى نحوِ الحِجاز وأهلِه يغورُ به الوُدُّ الصّحيحُ ويُتْهِمُ(عبد الله، 2018م، ص 218)

في البيت أعلاه يظهر الشاعر هيام قلبه بالحجاز وأهله، كما يضيف هيامه بتهامة، وهي موضع معروف بالجريرة العربية. يتكرر هذا المفهوم، أي هيام قلب الشاعر بأهل الحجاز، كأن لديه ليلاه الحجازية التي يعيش ذكرها.

إذا حدّثْتْ في بُقعةٍ أو تنفّسَتْ ففي بابلٍ أو باسْمِ دارِينَ تُوسَمُ(عبد الله، 2018م، ص 218)

في البيت أعلاه، يشير الشاعر إلى مدينة بابل العريقة، وهي من المدن الحضارية القديمة، التي جاء ذكرها في أغلب كتب الأديان، كما يشير إلى موضوع يتربط بموضوع البحث هذا، فهو يقول: إن تحدثت في مكان ما أو تنفست فيه فهو بابل. الأمر اللافت للانتباه هو أن الشاعر يعي أسلوب التطرق إلى الفضاءات المكانية.

ما مدَّ راحتَهُ وجادَ بعِلمِه إلا التقطنا لُؤلُؤَ البَحرينِ(عبد الله، 2018م، ص 268)

في البيت أعلاه يشبه تلقي العلم والنوال من الممدوح بلؤلؤ البحرين، فالبحرين بلد مشهور بصيد اللؤلؤ، ويُصدَّر الؤلؤ من البحرين إلى العالم. هنا، راحة يد الممدوح تشبه البحرين في العطاء.

فكُنتَ لها لمّا إستويتَ بعرشِها كيوسُفَ إذ ولّاهُ سيّدُه مِصْرا(عبد الله، 2018م، ص 375)

يشبّه الممدوح وتسلمه سنام الحكم في الحويزة، بتسلم يوسف المسؤولية في مصر، كما أنه يشير إلى الاستواء على العرش، وهو فضاء مكاني يرمز للسلطة والحكم.

أن لم يعُدْ باليدِ البيضاءِ منك إلى ديارِ مصرٍ أتى منها فقد تاها(عبد الله، 2018م، ص 347)

في البيت أعلاه يذكر فضاء مكاني بعيد عن متناول الممدوح، لكنه يضفي أماكن بعيدة ليظهر مدى قوة الممدوح واتساع فضله.في البيت أدناه، يوظف الشاعر فضاء مكانيًا له بعد تاريخي–ديني، كما فيه تناص قرآني، ، إذ إن طور سيناء ارتبط بقصة النبي موسى، فالشاعر يربط هذا الفضاء المكاني بكل حمولاته التاريخية بالممدوح، كما أنه يربط هذا المكان بالفيلسوفين؛ أرسطو وابن سيناء.

من طُورِ سيناءَ هذا نورُ فِطنتِه فمَنْ أرسطو ومن طورُ إبن سيناها(عبد الله، 2018م، ص

(346

ينتقل الشاعر إلى فضاء مكاني يثير إغراء جميع القوى الإقليمية، والدولة المشعشعية كانت ضمن هذه القوى التي تحلم بالبصرة، فيقول الشاعر:

فما البصرةُ الفيحاءُ إلّا قِلادةٌ ونحرُك من دونِ النّحورِ بها أحرى(عبد الله، 2018م، ص 356)

يتحول الفضاء المكاني/البصرة إلى قلادة في نحر الممدوح! أي جعل البصرة زينة للممدوح. فهذا يظهر مدى اهتمام الدولة المشعشعية بهذه المدينة.

فما البصرةُ الفيحاءُ إلّا قلادةٌ وأنت بها نحرٌ يَليقُ وحيدُ(عبد الله، 2018م، ص 351)

يعيد الشاعر المفهوم ذاته في البيت أعلاه، فهو يرى أن البصرة قلادة تليق بنحر الممدوح، كما أن البصرة خضعت لعدة قوى، من الأتراك العثمانيين والفرس وغيرهم، فمن الطبيعي أن الدولة العربية المشعشعية ترى نفسها أولى بالبصرة، كما أنها متاخمة لحدود دولتهم.

النتائج

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، هذه النتائج تظهر مدى تعمق الشاعر في هذا العنصر المهم المُشكِّل للأدب، فالفضاء المكاني كان بارزًا في شعر شهاب الدين الحويزي. استطاع الشاعر أن يقدم رؤية متناسقة ومتكاملة من الفضاءات المكانية التي تطرق لها، رغم أنه سار على النسق المفهومي والثقافي المعمول به في الأدب، لكنه جدد في بعض المفاهيم التي تختص بالفضاء المكاني/الوطن، كما أنه ربط بين الدولة والازدهار والعمران، لأنه كان يرى أنه لا يمكن للمدنية أن تستمر دون دولة قوية، كما اتضح في الدراسة أن الفضاءات المكانية التي تطرق لها الشاعر كانت فضاءات مكانية ثانوية بالنسبة للفضاء المكاني/الوطن، إذ إن الحويزة بصفتها العاصمة وبلاد الحوز بصفته الوطن حازا على أهمية مركزية في شعر شهاب الدين الحويزي. هذه المركزية المكانية هي نتيجة الثقافة السياسية والحضارية التي تشربها الشاعر أثناء وجوده المستمر في البلاط المشعشعي.الرؤية التي كانت تبرز في الفضاءات المكانية التي تتخلل شعر شهاب الدين الحويزي، هي ثالوث؛ الوطن، الدولة، العمران. لا يمكن التحدث عن المكانية في شعر هذا الشاعر دون الحديث عن الثالوث المكاني. كما يمكن عد الرؤية المكانية/المدينة التي يقدمها الشاعر بمثابة الرؤية التي سادت إبان الملوك الذين عاصرهم، إذ إنه عاصر مرحلة مزدهرة من تاريخ الأهواز في الحويزة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. الأزرقي، الإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد، أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، دراسة وتحقيق: أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيس، مكتبة الأسدي، 2003.
2. أبو معتوق الموسوي، شهاب الدين، ديوان، 1278هـ.
3. ابن منظور(جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري)، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم مجلد 13/ن.هـ/ منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت/ لبنان، 2003، باب مكن.
4. إسماعيل، سعيد، قراءة في المكان/الحضاري في شعر شهاب الدين الحويزي، مجلة النوابت، العدد السادس. 2021
5. توفيق أبو كشك، زاهرة، دراسات أدبية: المكان (الأردني والفلسطيني) في شعر حبيب الزيودي، 2020.
6. باشلار، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، 1984م المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع.
7. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء_الزمن_الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء_المغرب، الطبعة الأولى، 1990.
8. رجب، سوسن، المكان وتشكيلاته في شعر السياب: دراسة نقدية تطبيقية، 2016: 103
9. الجزائري، عبد الله، تذييل سلافة العصر، تحقيق السيد هادي باليل الموسوي، المكتبة الأدبية المختصة، 1419هـ
10. حسنين طاهر وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1998.
11. خماس، نبراس، الزمان والمكان في أسئلة الشعراء، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد 24، كانون الثاني 2017.
12. الرازي، محمد ابن أبي بكر، مختار الصحاح، تخريج وتعليقز مصطفى ديب البغا، ط2، اليمامة للطباعة والنشر_السعودية، 1987.
13. رحيل وفكار، المكان عند أدباء المهجر: جبران خليل جبران أنموذجا، المركز الجامعي أكلي محند أولحاج_البويرة_، سنة2012.
14. الزهرة بركات، فطيمة، المكان في شعر أحمد عبد المعكي الحجازي: مختارات شعرية_أنموذجا_، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة بوضياف، 2015.
15. سواعدي، زينب، دلالات الألوان في الشعر الأهوازي في العهد المشعشعي: أبو معتوق الحويزي، فرج الله الحويزي، عبد علي بن رحمة الحويزي، رسالة لنيل درجة الماجستر جامعة تشمران، 2020.
16. شيرزادة، فاطمة، التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة، بإشراف د. رقية رستم بور ملكي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع 2012.
17. شلاش، غيداء، المكان والمصطلحات المقاربة له_دراسة مفهوماتية_، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م 11، العدد 2، 2011م.

18. صالح السبهاني، محمد، المكان في الشعر الأندلسي، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة_مصر، 2007.

19. عوض، جيهان، جمالية المكان في شعر تميم البرغوثي، رسالة لنيل درجة الماجستير قطر، 2013.

20. عبد الكريم، زينب، دراسة تحليلية لنماذج شعرية من شعر ابن معتوق الموسوي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، عدد 20، 2015.

21. عبد الله، عارف، أبو معتوق الحويزي، شاعر الدولة المشعشعية: دراسة لحياته السياسية والأدبية وتحقيق ديوانه، الدار العربية للموسوعات، 2018.

22. فوغالي، باديس، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ط1ن عالم الكتب الحديث، عمان، 2008.

23. اللامي، عبد الرحمن، موسوعة الأدب العربي في الأحواز، الدار العربية للموسوعات، 2011، بيروت.

24. لويس شيخو، الأب، المنجد في اللغة العربية والأعلام، ط34، منشورات دار المشرق_بيروت، 1994.

25. مطر، أمير، الفلسفة اليونانية: تاريخها ومشكلاتها، أستاذ فلسفة كلية الآداب_ جامعة القاهرة، دار أنباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، طبعة عام 1998.

26. المندور، محمد، النقد المنهجي عند العرب، منهج البحث في الأدب واللغة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، 1996.

27. موسى الجاسم، أحمد، عبيد ابن الأبرص: دراسة فنية، دار الكنوز الأدبية، 1997.

28. الوسيط، معجم، مجمع اللغة العربية: ط3، مطابع الأوفست_القاهرة، الجزء الثاني، 1985.